



The Role of Religious Sectarian Pluralism in Shaping and Transforming Social Relations in Baghdad during the Buyid Era (334–447 AH)

¹Nidal Younis Majid

PhD Candidate in Islamic History, Faculty of Literature and Human Sciences, Lorestan University, Khorramabad, Iran.

²Dariush Nazari (Corresponding Author)

²Associate Professor, Department of History, Faculty of Literature and Human Sciences, Lorestan University, Khorramabad, Iran.

Email: nazari.d@lu.ac.ir

ORCID: 0009-0001-8111-1866

³Mojtaba Garavand

Associate Professor, Department of History, Faculty of Literature and Human Sciences, Lorestan University, Khorramabad, Iran.

Email: garavand.m@lu.ac.ir

ORCID: 0000-0002-5447-8638

⁴Seyed Alaeddin Shahrokhi

Professor, Department of History, Faculty of Literature and Human Sciences, Lorestan University, Khorramabad, Iran.

Email: shahrokhi.a@lu.ac.ir

Received Jul.5, 2026

Revised Aug.16 2026

Accepted Aug.28, 2026

Online October1, 2026

ABSTRACT

Baghdad during the Buyid period (334–447 AH / 945–1055 CE) was one of the leading urban centers of the Islamic world, distinguished by its rich sectarian and cultural diversity, which profoundly shaped its social structure and urban institutions. This study examines the impact of sectarian pluralism on the formation of social relations in Baghdad during this period. It adopts a social history approach, supported by descriptive and analytical methods, drawing upon primary historical sources and relevant modern scholarship. The findings reveal that sectarian diversity extended beyond its religious dimension to become a significant factor in the construction of social identities, the organization of intercommunal relations, and the strengthening of religious and scholarly institutions as networks of social interaction. The study also demonstrates that the Buyid administration managed sectarian diversity in a manner that maintained a degree of social stability despite the persistence of sectarian competition. It concludes that Baghdadi society developed a distinctive model of coexistence in which interaction and competition coexisted, contributing to the continuity of intellectual and cultural activity while preserving the cohesion of the city's social fabric throughout the Buyid era.

Keywords: Baghdad; Buyids; Sectarian Pluralism; Social Relations; Social History.

دور التعدد المذهبي في تشكيل العلاقات الاجتماعية وتحولاتها في بغداد خلال العصر البويهي (334–447هـ)

اتصال يونس مجيد،² داريوش نظري،³ مجتبی گراوند،⁴ سيد علاء الدين شاهرخي

¹ - دكتوراه في التاريخ الإسلامي - جامعة لرستان - ايران nm6114621@gmail.com

² - (الكاتب المسؤول) أستاذ في قسم التاريخ - جامعة لرستان nazari.d@lu.ac.ir

³ - أستاذ في قسم التاريخ - جامعة لرستان garavand.m@lu.ac.ir

⁴ - أستاذ في قسم التاريخ - جامعة لرستان shahrokhi.a@lu.ac.ir

المخلص

شكلت بغداد في العصر البويهي (334–447هـ/1055–945م) إحدى أهم الحواضر الإسلامية التي اتسمت بتعدد المذهبي والثقافي، الأمر الذي انعكس بصورة واضحة على بنيتها الاجتماعية ومؤسساتها الحضريّة. يهدف هذا البحث إلى بيان أثر التعدد المذهبي في تشكيل العلاقات الاجتماعية في بغداد قس هذه المرحلة، باعتماد منهج التاريخ الاجتماعي، إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي، بالاستناد إلى المصادر التاريخية الأصيلة والدراسات الحديثة. وتوصلت الدراسة إلى أن التعدد المذهبي لم يقتصر على كونه ظاهرة دينية، بل كان عاملاً مؤثراً في

تكوين الهويات الاجتماعية، وتنظيم العلاقات بين الجماعات، وتعزيز دور المؤسسات الدينية والعلمية في بناء شبكات التواصل الاجتماعي. كما أظهرت النتائج أن سياسة البويهيين أسهمت في إدارة التنوع المذهبي بما حافظ على قدر من الاستقرار، على الرغم من استمرار مظاهر التنافس بين المذاهب. وتخلص الدراسة إلى أن المجتمع البغدادي قدّم نموذجاً للتعايش القائم على التفاعل والتنافس في آن واحد، وهو ما أسهم في استمرار النشاط العلمي والحضاري، والمحافظة على تماسك البنية الاجتماعية للمدينة في العصر البويهي.

الكلمات المفتاحية: بغداد، البويهيون، التعدد المذهبي، العلاقات الاجتماعية، التاريخ الاجتماعي

المقدمة

تُعدّ مدينة بغداد في العصر البويهي (334-447هـ/945-1055م) من أبرز المراكز الحضرية في العالم الإسلامي؛ إذ تميزت بتنوعها المذهبي والاجتماعي والثقافي، نتيجة تزامن الحكم البويهي مع استمرار الخلافة العباسية، فضلاً عن تعدد المذاهب الإسلامية، ووجود الأقليات الدينية، وازدهار المؤسسات العلمية والدينية، وقد انعكس هذا التنوع على طبيعة العلاقات الاجتماعية، والتنظيم الحضري، والحياة الفكرية، وأنماط التفاعل بين مكونات المجتمع.

وقد تناول عدد من الباحثين العرب جوانب مختلفة من تاريخ بغداد في العصر البويهي، فقد تناول عبد العزيز الدوري في كتابه تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1948م، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق خلال القرن الرابع الهجري، مبيّناً أثر النشاط الاقتصادي في الحياة الحضرية، مع إشارات إلى مدينة بغداد، إلا أن اهتمامه انصرف إلى الجوانب الاقتصادية أكثر من العلاقات الاجتماعية.

و عرض حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، التطورات السياسية والحضارية في العصر العباسي والبويهي، متناولاً أبرز الأحداث والشخصيات، دون أن يفرد دراسة مستقلة لأثر التعدد المذهبي في المجتمع البغدادي.

واهتم آدم مزر في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، بوصف الحياة الاجتماعية والعلمية في القرن الرابع الهجري، وقدم معلومات مهمة عن بغداد ومؤسساتها العلمية والدينية، إلا أن معالجته جاءت في إطار عام للحضارة الإسلامية ولم تخصص بحثاً مستقلاً للعلاقات الاجتماعية في ظل التعدد المذهبي.

كذلك تناول كوركيس عواد في كتابه بغداد في التاريخ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1969م، تطور مدينة بغداد عبر مراحلها التاريخية، مستعرضاً مكانتها العلمية والحضرية، إلا أن تركيزه كان منصباً على التاريخ العام للمدينة دون دراسة تحليلية لأثر التنوع المذهبي في تشكيل العلاقات الاجتماعية.

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات وما قدمته من معلومات عن العصر البويهي، فإنها ركزت على الجوانب السياسية أو الحضارية أو الجغرافية، ولم تعالج بصورة مستقلة أثر التعدد المذهبي في تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل بغداد من منظور التاريخ الاجتماعي، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته بتحليل دور التنوع المذهبي في بناء العلاقات الاجتماعية والمؤسسات الدينية والعلمية في العصر البويهي.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من تناولها أثر التعدد المذهبي في تشكيل العلاقات الاجتماعية بمدينة بغداد خلال العصر البويعي، بوصفه جانباً لم يحظَ بدراسة مستقلة بالقدر الكافي، كما تسهم في توضيح دور المذاهب الإسلامية في بناء العلاقات الاجتماعية والمؤسسات الدينية والعلمية، اعتماداً على منهج التاريخ الاجتماعي، بما يثري الدراسات المتعلقة بتاريخ بغداد والمجتمع الإسلامي.

مشكلة الدراسة

على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت العصر البويعي، فإن معظمها ركز على الجوانب السياسية والعسكرية أو الصراعات المذهبية، في حين لم يُدرس بصورة متكاملة أثر التعدد المذهبي في تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل مدينة بغداد، ومن هنا تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

السؤال الرئيس:

- كيف أسهم التعدد المذهبي في تشكيل العلاقات الاجتماعية في بغداد خلال العصر البويعي (334-447هـ/945-1055م)؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما أبرز المذاهب والطوائف التي تكوّن منها المجتمع البغدادي في العصر البويعي؟
2. كيف أثر التعدد المذهبي في العلاقات الاجتماعية بين سكان بغداد؟
3. ما دور المؤسسات الدينية والعلمية في تعزيز التفاعل بين الجماعات المذهبية؟
4. كيف انعكست سياسة الدولة البويعية تجاه التعدد المذهبي على المجتمع؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى:

- التعرف إلى مظاهر التعدد المذهبي في بغداد خلال العصر البويعي .
- تحليل أثره في العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع .
- بيان دور المؤسسات الدينية والعلمية في التفاعل المذهبي .
- توضيح أثر السياسة البويعية في إدارة التنوع المذهبي وانعكاسه على المجتمع .

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي في جمع الروايات التاريخية وتحليلها ونقدها، مع الاستفادة من منهج التاريخ الاجتماعي لتفسير أثر التعدد المذهبي في العلاقات الاجتماعية، وربط الظواهر الاجتماعية بالسياقات السياسية والثقافية التي شهدتها بغداد خلال العصر البويعي.

المبحث الأول: التركيبة المذهبية

كانت بغداد في العصر البويعي (334-447هـ) من أكثر مدن العالم الإسلامي تنوعاً من الناحية الاجتماعية والمذهبية، بحكم مكانتها السياسية والاقتصادية والعلمية، فقد أدى اتخاذها مركزاً للخلافة العباسية إلى استقطاب جماعات متعددة من أقاليم

مختلفة، وأسهم النشاط التجاري والعلمي واتساع الحركة السكانية في تكوين مجتمع متنوع من حيث الانتماءات المذهبية والاجتماعية (اليقوب، 1977م: 662/2؛ المقدسي، 1982م: 123-126؛ ابن حوقل، 1938م: 235-238؛ باستاني راد، 2012م: 5)، ويقصد بالتعدد المذهبي في هذه الدراسة وجود مذاهب واتجاهات فقهية وعقدية متعددة داخل المجتمع الإسلامي، وتفاعل أتباعها في المجالات الدينية والاجتماعية والعلمية والسياسية، ولا سيما المذاهب السنية، كالحنفية والحنبلية، والاتجاهات الشيعية، وفي مقدمتها الإمامية، ويختلف هذا المفهوم عن التعدد الديني الذي يشير إلى وجود أتباع ديانات مختلفة داخل المجتمع، كالمسيحيين واليهود والصابئة وغيرهم، وتظهر أهمية هذا التمييز في أن الدراسة تركز أساساً على أثر التعدد المذهبي الإسلامي في العلاقات الاجتماعية، في حين يُستعان بوجود الجماعات غير المسلمة لفهم الإطار الديني والاجتماعي الأوسع الذي تشكلت داخله علاقات سكان بغداد، وقد عرفت بغداد حضوراً واضحاً لمختلف الاتجاهات والمذاهب الإسلامية، إذ نشط فيها الفقهاء والعلماء وأصحاب حلقات الدرس والمناظرات، وأصبحت المدينة مجالاً للتفاعل العلمي والتنافس الفكري بين المذاهب المختلفة (الخطيب البغدادي، 2001م؛ ابن الجوزي، 1990م؛ ابن النديم، 1348ق: 251-260)، ومن ثم لم يكن التنوع المذهبي ظاهرة دينية محضة، بل انعكس على أنماط التواصل والتجاور والتنافس بين الجماعات داخل المجتمع البغدادي، أما الجماعات غير المسلمة، فقد عاشت في بغداد إلى جانب المسلمين، وشملت المسيحيين واليهود والصابئة وغيرهم، وأسهم أفرادها في بعض الأنشطة الاقتصادية والعلمية والإدارية، كما كان لهم وجود في الحياة الحضرية ومؤسساتهم الدينية والاجتماعية. وترد إشارات إلى هذا التنوع في كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين، بما يؤكد اتساع المجال الاجتماعي والديني في بغداد (اليقوب، 1977م: 662/2؛ المسعودي، 1409ق: 86/4-90؛ المقدسي، 1982م: 123-126)، ويأتي تناول هذه الجماعات في الدراسة من منظور السياق الاجتماعي العام والتفاعل بين مكونات المجتمع، وليس باعتبارها مذاهب إسلامية أو جزءاً من مفهوم التعدد المذهبي بالمعنى الاصطلاحي، ومع سيطرة البويهيين على بغداد، اكتسب التعدد المذهبي بعداً سياسياً واجتماعياً أكثر وضوحاً؛ إذ أصبحت السلطة الفعلية بيد أسرة ذات توجه شيعي، بينما احتفظ قطاع واسع من سكان بغداد بانتمائه السني. وأدى هذا التداخل بين السلطة والانتماءات المذهبية إلى نشوء علاقات متباينة تراوحت بين التعايش والتعاون من جهة، والتنافس والتوتر من جهة أخرى، الأمر الذي جعل الانتماء المذهبي أحد العوامل المؤثرة في تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل المدينة (كرومر، 1996م: 86-90؛ متر، 1986م: 49-52)، وبذلك فإن التعدد المذهبي في بغداد البويهية لا يُفهم بوصفه مجرد تعدد في الانتماءات الدينية، وإنما باعتباره ظاهرة اجتماعية وفكرية ارتبطت بعلاقات السكان ومواقعهم ومصالحهم وممارساتهم اليومية. أما التعدد الديني، فيمثل إطاراً أوسع أسهم في تشكيل البيئة الاجتماعية للمدينة، ومن ثم فإن التمييز بين المفهومين يساعد على دراسة أثر المذاهب الإسلامية في العلاقات الاجتماعية بصورة أكثر دقة، مع الاستفادة من وجود الجماعات غير المسلمة لفهم طبيعة المجتمع البغدادي وتنوعه خلال العصر البويعي.

المبحث الثاني: التوزيع المكاني للجماعات المذهبية في أحياء بغداد

يُعدّ التوزيع المكاني للجماعات المذهبية في أحياء بغداد من أبرز المظاهر العملية للتعدد المذهبي في المدينة خلال العصر البويعي، ولم يكن استقرار أتباع المذاهب المختلفة في مناطق محددة من المدينة مجرد نتيجة للتوزيع السكاني أو التوسع العمراني، بل كان ثمرة تفاعل جملة من العوامل التاريخية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية (الزهيري، 2024: 202)؛ فقد أسهمت سوابق هجرة الجماعات، والقرب من المراكز الدينية، والروابط الاجتماعية القائمة بينها، فضلاً عن أشكال الدعم السياسي، في تكوين تجمعات مذهبية داخل أحياء معينة، حتى غدت بعض مناطق بغداد مراكز رئيسة للنشاط الديني والاجتماعي لجماعات بعينها. ومن هذا المنطلق، فإن البنية المحلية لمدينة بغداد لا يمكن النظر إليها بوصفها إطاراً عمرانياً فحسب، بل تُعد أحد أهم العناصر المنظمة للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع المتعدد المذاهب؛ إذ تحولت الأحياء من مجرد أماكن للسكن إلى فضاءات لإعادة إنتاج الهوية الجماعية، وبناء شبكات التواصل والتضامن بين أفراد الجماعة الواحدة. وكان حيّ الكرخ أهم مركز لتجمع الشيعة في بغداد. فقد أتاح

موقعه الجغرافي، واتصاله بطرق القادمين من الكوفة، ومجاورته لمسجد براثا، وقربه من مرقد الإمامين الكاظمين (عليهما السلام)، ظروفًا ملائمة لاستقرار الجماعات الشيعية واتساع نشاطها الديني والاجتماعي. كما أسهم وجود كبار علماء الإمامية، وتأسيس المراكز العلمية والدينية في هذا الحي، في تحويل الكرخ إلى أحد أهم الفضاءات التي تجلت فيها الهوية الاجتماعية للشيعية في بغداد. ومن ثم، فإن أهمية الكرخ لم تكن نابعة من كونه موضعاً لتجمع الشيعة سكانياً فحسب، بل لأنه تحول إلى شبكة مترابطة من العلاقات العلمية والدينية والاجتماعية، كان لها أثر واضح في تعزيز التماسك الداخلي للجماعة الشيعية، وترسيخ حضورها في البنية الاجتماعية للمدينة (برنجكار، 1999م: 62؛ حيدر، 1984م: 289؛ قاسم احمدى، 2009م: 7). وفي المقابل، تركز أتباع المذهب الحنبلي في أحياء مثل باب البصرة، وباب الشعير، وقلانين. وقد هيأ هذا التمرکز الجغرافي الظروف اللازمة لتكوين قواعد اجتماعية ومذهبية متماسكة، وأصبحت هذه الأحياء مراكز لتنظيم النشاط الديني والاجتماعي للحنابلة. وتشير الروايات التاريخية المتعلقة بالاضطرابات المذهبية في أواخر القرن الرابع الهجري إلى أن هذا التمرکز المكاني كان يتيح تعبئة القوى الاجتماعية بسرعة عند اشتداد الأزمات، الأمر الذي جعل الأحياء المذهبية تتحول إلى ساحات رئيسة للتنافس والصراع بين الجماعات المختلفة (ابن الأثير، 1990م: 4781/11؛ ابن الجوزي، 1990م: 338-339؛ ابن كثير، 1407ق: 58-59).

أما سائر الجماعات الدينية، فقد استقرت هي الأخرى في مناطق خاصة من المدينة. فقد كان المسيحيون يقيمون في الغالب في حي دار الروم، وهو حي اكتسب، بفضل نشاط الأطباء والمترجمين والموظفين المسيحيين، مكانة علمية وإدارية إلى جانب وظيفته الدينية. كما أسهم وجود الكنائس والمؤسسات الدينية الخاصة بهم في المحافظة على تماسك جماعتهم وصيانة هويتهم الاجتماعية عبر الأجيال (متز، 1986م: 50؛ اليعقوبي، 1977م: 662/2). وكان لليهود أيضاً تجمعاتهم الخاصة، حيث حافظوا، من خلال مؤسساتهم الدينية وشبكاتهم الاقتصادية، على قدر كبير من التماسك الاجتماعي، وشاركوا في الوقت نفسه في الأنشطة التجارية والمالية لمدينة بغداد، مما منحهم مكانة مؤثرة في الحياة الاقتصادية للمدينة (جنتي، 1987م: 427، 454). أما الصابئة والزرادشتيون، فعلى الرغم من أن عددهم كان أقل مقارنة بغيرهم من الجماعات الدينية، فإن استمرار وجودهم داخل الفضاء الحضري لبغداد يعكس قدرة المدينة على استيعاب جماعات دينية متعددة والحفاظ على حضورها الاجتماعي. وقد أسهم هذا الوجود المستمر في ترسيخ الطابع المتعدد الأديان والمذاهب الذي تميزت به بغداد خلال العصر البويهي (صديقي، 1993م: 68؛ مكي، 1410ق: 80؛ دهخدا، 1958م، مادة: «الصابئين»). ولم يكن هذا التوزيع المذهبي يعكس مجرد اختلاف في أماكن إقامة الجماعات، بل أدى إلى تشكل فضاءات اجتماعية متميزة داخل المدينة. فمن جهة، أسهمت الأحياء المذهبية في تعزيز الهوية الاجتماعية، وإنشاء شبكات للتكافل والدعم، والمحافظة على التماسك الداخلي لكل جماعة. ومن جهة أخرى، تحولت هذه الأحياء، في أوقات التنافس السياسي والمذهبي، إلى ساحات تُبرز الفوارق الاجتماعية والمذهبية، وإلى فضاءات يظهر فيها الصراع بين الجماعات المختلفة بصورة أكثر وضوحاً. وعليه، فإن التنظيم المكاني لمدينة بغداد كان أحد العوامل المؤثرة في تشكيل العلاقات الاجتماعية داخلها، وأسهم بصورة فاعلة في تحويل التعدد المذهبي إلى ظاهرة اجتماعية وحضرية متكاملة. ومن هذا المنظور، فإن البنية العمرانية لبغداد في العصر العباسي، ولا سيما خلال العهد البويهي، تقدم صورة واضحة لمدينة متعددة المذاهب، أصبحت فيها الأحياء الحضرية أهم الوحدات التي تجسدت فيها الهويات الدينية والاجتماعية، وأسهمت في إعادة إنتاجها داخل الحياة اليومية للمجتمع البغدادي.

المبحث الثالث: المكانة الاجتماعية للجماعات الدينية

لم يقتصر التعدد الديني في بغداد خلال عصر البويهيين على وجود جماعات دينية ومذهبية متعددة، بل تجلّى كذلك في تباين المكانة الاجتماعية ومستوى النفوذ الذي تمتعت به هذه الجماعات داخل البنية الحضرية للمدينة. فقد كانت منزلة كل جماعة دينية تتحدد تبعاً لجملة من العوامل، من أبرزها علاقتها بالسلطة السياسية، وموقعها العلمي، وقدرتها الاقتصادية، ومدى تنظيمها

الاجتماعي. ولذلك لم تكن الجماعات الدينية في بغداد تتمتع بالمكانة نفسها، بل سلكت كل منها مساراً خاصاً للحضور في المجال العام والمشاركة في الحياة الاجتماعية.

وفي أوساط المذاهب السنية، حظي الحنفية بمكانة متميزة بحكم ارتباطهم التاريخي بجهاز الخلافة العباسية، فضلاً عن حضورهم الواسع في سلك القضاء والمؤسسات الديوانية. ولم يكن نفوذهم قائماً على القوة الاجتماعية الشعبية بقدر ما استند إلى صلتهم بالمؤسسات الرسمية للدولة وإشغال فقهاءهم للمناصب الإدارية والقضائية، الأمر الذي جعلهم من أكثر الجماعات تأثيراً في البنية القانونية والإدارية لمدينة بغداد (طارمي، 2002: 71-73؛ الذهبي، 1994: 375/3). أما الحنابلة، فقد سلكوا طريقاً مختلفاً في اكتساب المكانة الاجتماعية؛ إذ استند نفوذهم بدرجة كبيرة إلى صلتهم المباشرة بعامة الناس، وحضورهم الفاعل في المساجد، وتأثيرهم في الفضاء العام للمدينة. وقد انبثقت قوتهم الاجتماعية من الشبكات الشعبية ومن قدرتهم على الحشد والتعبئة، ولذلك أدوا دوراً بارزاً في التطورات المذهبية التي شهدتها بغداد، ولا سيما في العصر البويهي (كرامر، 1996: 103؛ فضائي، 2010: 695/1؛ ابن الأثير، 1995: 4781/11). كما شهد الشيعة الإمامية خلال العصر البويهي تطوراً ملحوظاً في مكانتهم الاجتماعية، إذ أتاح لهم الدعم النسبي الذي وفرته الدولة لممارسة شعائهم ونشاطهم الديني حضوراً أوسع في المجال العام. وأسهم ظهور الحلقات العلمية، ونشاط علماء الكلام، وبروز شخصيات علمية بارزة، مثل الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، وغيرهما من أعلام الإمامية، في انتقال التشيع من مجرد هوية مذهبية إلى تيار علمي وثقافي فاعل داخل المجتمع البغدادي (برنجكار، 1999: 62؛ حيدر، 1984: 289؛ كبير، 2002: 61-65). أما الجماعات غير المسلمة، فقد تباينت مكانتها الاجتماعية تبعاً لما امتلكنه من إمكانات علمية واقتصادية. فقد احتل المسيحيون موقعاً مهماً داخل البنية الإدارية والثقافية لبغداد بفضل تميزهم في الطب والترجمة والنسخ والخدمة الديوانية. كما أسهم نشاط الأسر الطبية، مثل أسرة بختيشوع، ووجود تنظيم كنسي مستقل، في استمرار حضورهم الاجتماعي والثقافي داخل المدينة (متز، 1986: 50؛ هولت وللمبتون، 2011: 185/2، 190). أما اليهود، فقد ارتبط حضورهم الاجتماعي أساساً بالأنشطة الاقتصادية والتجارية وأعمال الصيرفة، حيث أتاح لهم شبكاتهم الاقتصادية ومؤسساتهم الدينية المحافظة على تماسكهم الداخلي والمشاركة الفاعلة في الحياة الاقتصادية لبغداد (هثي، 1987: 427، 454). وعلى الرغم من قلة عدد الصابئة مقارنة بغيرهم، فإنهم استطاعوا اكتساب مكانة ثقافية متميزة من خلال تفوقهم العلمي، ولا سيما في علوم الفلك والرياضيات والترجمة. ويظهر بروز شخصيات مثل ثابت بن قرّة في الوسط العلمي العباسي أن المكانة الاجتماعية للجماعات لم تكن رهينة عدد أتباعها فحسب، بل كانت المعرفة والخبرة العلمية من العوامل الحاسمة في تحديد موقعها داخل المجتمع (دهخدا، 1958: مادة «الصابئة»؛ مكي، 1410 ق: 80). وبذلك يتضح أن البنية الاجتماعية لبغداد في العصر البويهي قامت على تفاوت الجماعات الدينية في مصادر القوة، ورأس المال العلمي، والنفوذ الاقتصادي. فقد امتلكت كل جماعة أدواتها الخاصة التي مكنتها من شغل موقع معين داخل الفضاء الاجتماعي للمدينة، وأسهم هذا التفاوت في تشكيل أنماط التعاون والتنافس والتفاعل بين مختلف الجماعات الدينية، بما انعكس بصورة مباشرة على طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع البغدادي.

المبحث الرابع: السياسة المذهبية للبويهيين

أحدث استقرار البويهيين في بغداد تحولاً في ميزان القوة السياسية ومكانة الجماعات المذهبية داخل المجتمع. فقد تولّت الدولة الجديدة زمام السلطة في وقت كانت فيه بغداد مجتمعاً متعدّ المذاهب، يضم مختلف الفرق الإسلامية إلى جانب الجماعات الدينية غير المسلمة. ومن ثم، لم تقم السياسة المذهبية للبويهيين على أساس دعم مذهب واحد فحسب، وإنما تشكّلت في إطار السعي إلى المحافظة على النظام السياسي وإدارة مجتمع يتسم بالتعدد الديني والمذهبي. وعلى الرغم من الميل الواضح للبويهيين إلى التشيع، فإنهم كانوا مضطرين، عند إدارة شؤون بغداد، إلى تحقيق نوع من التوازن بين دعم الشيعة والمحافظة على البنية الاجتماعية القائمة؛ إذ ظلت غالبية سكان المدينة تنتمي إلى التقاليد السنية، وكان من شأن إقصاء هذه الأغلبية أو الحدّ من دورها أن يهدّد استقرار الحكم.

ولهذا ارتكزت سياسة البويهيين، في معظم مراحلها، على تعزيز الحضور الاجتماعي للشيعية، مع الإبقاء في الوقت نفسه على إمكان استمرار نشاط سائر الجماعات المذهبية (مسكويه، 2000م: 178-185؛ ابن الأثير، 1995م: 27/8-35). وقد أصبح التوجّه المذهبي للبويهيين أكثر وضوحاً في عهد معزّ الدولة وخلفائه، حيث حظي عدد من علماء الإمامية بالرعاية، وتعزّزت الشعائر الشيعية، كما أُتيحت للمؤسسات الشيعية فرص أوسع لممارسة نشاطها، الأمر الذي أسهم في الارتقاء بالمكانة الاجتماعية للإمامية في بغداد. ومع ذلك، لم تكن هذه السياسة تحويل التشيع إلى المذهب الرسمي للخلافة؛ إذ حرص البويهيون، حفاظاً على مشروعيتهم السياسية وتجنباً لتعميق الانقسامات المذهبية، على الإبقاء على مكانة الخلافة العباسية والمؤسسات المرتبطة بأهل السنة. ومن أبرز مظاهر هذه السياسة السماح بإقامة بعض الشعائر الشيعية في الفضاء العام لمدينة بغداد. فقد أسهم إحياء مناسبات، كعاشوراء وعيد الغدير، في إبراز الحضور الاجتماعي للشيعية، كما أثار في المقابل ردود فعل من بعض الجماعات السنية، ولا سيما الحنابلة. ويكشف ذلك عن أن السياسة المذهبية للبويهيين لم تقتصر على إتاحة المجال أمام النشاط المذهبي، بل أسهمت كذلك في إظهار المنافسة الهوياتية داخل الفضاء الحضري لبغداد بصورة أكثر وضوحاً (همداني، 1958م: 183-187). وفي عهد عضد الدولة استمر هذا النهج؛ فعلى الرغم من انتمائه إلى التشيع الإمامي ورعايته لبعض المؤسسات الشيعية، فإنه أفاد أيضاً من كفاءات النخب السنية، وجعل سياسته المذهبية قائمة على الاعتبارات السياسية ومتطلبات المحافظة على الاستقرار الاجتماعي (Busse, 1969: 145). وعليه، فإن السياسة المذهبية للبويهيين ينبغي أن تُدرس في إطار إدارة مجتمع متعدد المذاهب؛ فهي سياسة أتاحت، من جهة، توسيع الحضور الاجتماعي للشيعية، ومن جهة أخرى، فرضت جملة من القيود والاعتبارات الهادفة إلى الحيلولة دون تحوّل الخلافات المذهبية إلى أزمات سياسية تهدّد استقرار الدولة والمجتمع.

المبحث الخامس: انعكاس التعدد المذهبي في العلاقات الاجتماعية لبغداد

(أ) المؤسسات الدينية والبنية المكانية للمدينة في إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية

في العصر البويهي، ارتبطت تشكل العلاقات الاجتماعية في بغداد ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسات الدينية والعلمية وبالبنية المكانية للمدينة، إذ لم تكن هذه المؤسسات تعمل بمعزل عن المجتمع، وإنما كانت جزءاً من بنيته اليومية وعنصرًا فاعلاً في تنظيم التفاعل بين سكانه، وقد أدى انتقال السلطة إلى البويهيين وما ترتب عليه من تغير في موازين القوى السياسية والمذهبية إلى اتساع الأدوار التي أدتها المؤسسات الدينية، فلم تعد وظيفتها مقتصرة على إقامة الشعائر والطقوس، بل أصبحت من المجالات التي تتشكل فيها العلاقات الاجتماعية، وتتقاطع فيها شبكات العلماء والطلاب والعامة وأصحاب المهن ورجال الإدارة، وفي هذا السياق، أسهمت المساجد والأحياء والأسواق في توفير فضاءات مشتركة لإنتاج العلاقات الاجتماعية وإبراز الهويات المذهبية، الأمر الذي جعل التعدد المذهبي ينعكس على البنية الاجتماعية للمدينة وعلى أنماط التفاعل بين جماعاتها المختلفة (كرامر، 1996م: 86-90)، وتبرز الجوامع بصورة خاصة بوصفها مؤسسات تجاوزت وظيفتها التعبدية المباشرة إلى أدوار علمية واجتماعية متعددة، فقد احتضنت الصلاة والتدريس والمناظرات الكلامية والوعظ والقضاء وإصدار الفتاوى، كما شكلت مواقع للاجتماع والتواصل بين فئات متباينة من المجتمع، ومن خلال اجتماع هذه الوظائف في فضاء واحد، نشأت داخل الجامع شبكات اتصال تربط العلماء بطلابهم، والطلاب ببعضهم ببعض، والعلماء بعامة السكان، فضلاً عن صلاتهم بأصحاب الحرف ورجال الإدارة، ومن ثم، لم يكن المسجد مجرد مكان تنتقل فيه المعرفة الدينية، وإنما أصبح مؤسسة تساعد على إنتاج العلاقات الاجتماعية وتنظيمها، وتمنح العلماء مكانة تتجاوز المجال العلمي إلى المجال الاجتماعي العام، وقد أسهم تركيز النشاط العلمي والديني في بعض المساجد في تقوية الروابط داخل الجماعات المذهبية، وفي تثبيت المرجعيات الدينية التي تستند إليها تلك الجماعات في تنظيم شؤونها، وهو ما جعل المؤسسة الدينية عنصراً مهماً في إعادة إنتاج الهوية المذهبية وتكوين شبكات التواصل الاجتماعي (كرامر، 1996م: 86-90).

وتكشف هذه الوظائف عن أن المؤسسة الدينية كانت تؤدي دوراً مزدوجاً في الحياة الحضرية، فمن ناحية، كانت قناة لنقل العلوم والمعتقدات والقيم، ومن ناحية أخرى، كانت فضاءً يلتقي فيه أفراد المجتمع بصورة منتظمة، فتتكون من خلال اللقاءات المتكررة علاقات تتجاوز العلاقة المباشرة بين المعلم والمتعلم، فحلقات الدرس والمناظرات والوعظ والفتوى كانت جميعها مناسبات لإنتاج التفاعل وتوسيع دائرة الاتصال بين فئات المجتمع، وبذلك أسهمت المؤسسات العلمية في تكوين شبكات اجتماعية تقوم على العلم والمذهب والمكانة الدينية، وأصبح العالم أو الفقيه جزءاً من شبكة اجتماعية أوسع تتصل بعامة السكان وبالنخب المختلفة، ومن هنا يمكن فهم دور المؤسسات العلمية في تنشيط الحياة الحضرية، إذ لم يكن النشاط العلمي منفصلاً عن حركة المجتمع، بل كان أحد مظاهرها ومصادر حيويتها (كرامر، 1996م: 86-90؛ فقيهي، 1987م: 444).

وقد تدخل هذا الدور المؤسسي مع التنظيم المكاني لبغداد، إذ أسهم التركيز النسبي لأتباع بعض المذاهب في أحياء معينة، مثل الكرخ والرصافة وباب البصرة وسوق الطعام، في ربط الانتماء المذهبي بالانتماء المكاني، وأصبح الحي، إلى جانب الجامع والمؤسسات العلمية الموجودة فيه، مجالاً تتفاعل داخله الجماعة بصورة يومية، وتتشكل فيه علاقات الجوار والتكافل والدعم المتبادل، ولم يكن هذا التداخل بين المكان والمذهب مجرد نتيجة للتوزيع السكاني، بل كان له أثر في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية، فوجود الجماعة في فضاء محدد، واستمرار مؤسساتها الدينية والعلمية داخله، أسهما في تقوية شبكات التواصل وتعزيز الشعور بالانتماء، وبذلك ارتبطت الحياة الاجتماعية بالمجال المكاني ارتباطاً جعل بعض الأحياء تحمل دلالات تتجاوز الوظيفة العمرانية إلى الدلالة الاجتماعية والمذهبية (الخطيب البغدادي، 2001م: 175/1-180؛ ابن الجوزي، 1990م: 90/15-95/15؛ Lapidus, 2014: 214-216)، وفي هذا السياق يمثل الكرخ نموذجاً تاريخياً واضحاً لكيفية تحول الحي إلى مركز للتفاعل الاجتماعي والعلمي والمذهبي، فقد أدى وجود علماء الإمامية والمؤسسات المرتبطة بهم وإقامة الشعائر إلى تكوين بيئة اجتماعية ساعدت على استمرار النشاط العلمي والديني داخل الحي، وأتاح هذا التركيز نشوء علاقات متبادلة بين العلماء والطلاب والسكان، كما عزز ارتباط النشاط الديني بالحياة اليومية للسكان، ومن ثم، لم يكن الكرخ مجرد منطقة ذات أغلبية شيعية، وإنما كان فضاءً ساعدت مؤسساته وشبكاته الاجتماعية على تحويل الانتماء المذهبي إلى ممارسة اجتماعية محسوسة داخل المدينة (الخطيب البغدادي، 2001م: 175/1-180؛ ابن الجوزي، 1990م: 90/15-95/15).

وفي المقابل أسهم وجود المساجد والمدارس وحلقات العلم في المناطق ذات الحضور السني في بناء شبكات اجتماعية وعلمية موازية، فقد كانت المؤسسات الدينية والعلمية وسائل لتكوين جماعات من العلماء والطلاب والمتريدين عليها، وأصبحت حلقات العلم مجالاً لتبادل المعرفة وإقامة الصلات بين أفراد الجماعة، ويكشف هذا التعدد في مراكز النشاط الديني والعلمي عن أن بغداد البوذية لم تكن ذات مركز اجتماعي واحد، وإنما تشكلت داخلها فضاءات متعددة تتقاطع فيها المؤسسات العلمية مع الانتماءات المذهبية والمكانية، الأمر الذي جعل الحياة العلمية جزءاً أساسياً من بنية الحياة الحضرية (Lapidus, 2014: 214-216)، وإلى جانب المؤسسات الدينية والعلمية، أدت الأسواق دوراً مهماً في استمرار شبكات التواصل بين الجماعات المختلفة، فالسوق لم يكن مجرد مجال لتبادل السلع، وإنما كان فضاءً يلتقي فيه التجار وأصحاب الحرف وأرباب المهن بصورة متكررة، الأمر الذي أوجد علاقات اقتصادية واجتماعية تتجاوز الانتماءات المذهبية، وأسهمت المصالح المشتركة وانتظام التعامل في بناء صور من الاعتماد المتبادل، حتى في ظل وجود حدود مذهبية واضحة، ومن ثم، ساعد السوق على توفير مجال عملي للتفاعل اليومي، وأصبح أحد العوامل التي حالت دون تحول التمايز المذهبي إلى عزلة اجتماعية كاملة، وبذلك تكاملت وظيفة الأسواق مع وظيفة المساجد والأحياء في تشكيل الحياة الحضرية، فبينما أسهمت المؤسسات الدينية في بناء شبكات تقوم على العلم والاعتقاد، وفرت الأسواق شبكات تقوم على العمل والمصلحة والتبادل (Lapidus, 2014: 214-216؛ الخطيب البغدادي، 2001م: 175/1-180).

غير أن المؤسسات الدينية والعلمية لم تكن دائماً عوامل للاندماج الاجتماعي، إذ أسهمت أيضاً في تثبيت الخصوصية المذهبية، وخاصة في فترات اشتداد التنافس بين الجماعات، فقد أدى تركيز النشاط الديني والعلمي داخل جماعات معينة إلى تقوية المرجعيات الخاصة بها، وجعل العلماء ممثلين للهوية المذهبية أمام الجماعات الأخرى، ومع انتقال السلطة إلى البويهيين وتغير ميزان القوى السياسية، أصبحت هذه المؤسسات جزءاً من المجال الذي ظهرت فيه المنافسة على المكانة والنفوذ، وهكذا تدخل الدور الاجتماعي للمؤسسة الدينية مع التنافس المذهبي، فتحوّلت بعض مظاهر النشاط العلمي والديني من مجرد ممارسات داخلية للجماعة إلى وسائل للتعبير عن الحضور الاجتماعي في المدينة (كرامر، 1996م: 86-90؛ فقيهي، 1987م: 444)، وقد ظهر هذا التداخل بصورة أكثر وضوحاً في العلاقة بين الشيعة والحنابلة، إذ امتلكت كل جماعة قاعدة اجتماعية ومؤسسات دينية وشبكات تواصل خاصة بها، الأمر الذي جعل الخلافات العقدية قابلة للانتقال إلى المجال الاجتماعي والحضري، وأسهم تغير ميزان القوة السياسية لصالح البويهيين في تعزيز الحضور الاجتماعي للشيعة، وهو ما أثار ردود فعل لدى التيارات المنافسة، وفي مقدمتها الحنابلة، ولذلك فإن المنافسة بين الجماعات لم تكن خلافاً فكرياً مجرداً، وإنما اتصلت بالمكانة الاجتماعية وبالقدرة على التأثير في المجال العام وبامتلاك أدوات التعبير عن الهوية داخل المدينة (ابن الجوزي، 1990م: 75/14؛ Lapidus, 2014: 214-216).

وقد وقع أول صدام واسع النطاق بين الشيعة وأهل السنة سنة 338هـ، بعد فترة قصيرة من استقرار البويهيين في بغداد، وهو ما يعكس ارتباط التحولات السياسية الجديدة بتغير طبيعة العلاقات بين الجماعات المذهبية، ولا تكمن أهمية هذا الحدث في وقوع الصدام ذاته فحسب، بل في دلالاته على انتقال التنافس من مستوى الجدل الفكري إلى مستوى الفعل الاجتماعي الجماعي، إذ أصبحت الجماعات قادرة على الحشد والتحريك استناداً إلى شبكاتها الدينية والاجتماعية والمكانية (ابن الجوزي، 1990م: 75/14)، وتتضح هذه العلاقة بين المؤسسة والحي والهوية بصورة أكبر في المواجهة التي وقعت سنة 363هـ بين سكان سوق الطعام ذي الأغلبية السنية وسكان الكرخ ذي الأغلبية الشيعية، والتي اقترنت بإعادة تمثيل رمزي لوقعة الجمل، فقد كشفت هذه المواجهة عن قدرة الذاكرة التاريخية والرموز الدينية على استدعاء الانتماء الجماعي وتحويله إلى فعل اجتماعي داخل المجال الحضري، كما توضح أن الحي لم يكن مجرد مساحة جغرافية، بل كان جزءاً من عملية تنظيم الجماعة وحشدها، في حين أسهمت الرموز والمناسبات الدينية في تنشيط الذاكرة الجمعية وترسيخ الحدود بين الجماعات (ابن الأثير، 1995م: 632/8؛ ابن الجوزي، 1990م: 338-363).

ومع ذلك لم يؤد هذا التنافس إلى انهيار الحياة الاجتماعية في بغداد، لأن المؤسسات والأسواق والفضاءات المشتركة ظلت قادرة على إنتاج أشكال مختلفة من التواصل، فقد استمرت الأنشطة الاقتصادية، وتواصلت العلاقات المهنية، وظل أفراد الجماعات المختلفة يتعاملون في الأسواق ويشتركون في الحياة الإدارية والحضرية، ويكشف ذلك أن المؤسسات والفضاءات الاجتماعية أدت أدواراً متباينة بحسب السياق، فقد تكون المؤسسة الدينية مجالاً لتعزيز الخصوصية المذهبية، لكنها في الوقت نفسه كانت مؤسسة عامة تؤدي وظائف علمية واجتماعية، كما أن السوق قد يكون مجالاً لتبادل المصالح بين الجماعات رغم وجود التنافس بينها، ومن ثم، فإن العلاقات الاجتماعية في بغداد البويهية اتخذت شكلاً مركباً يجمع بين التمايز والتواصل (Lapidus, 2014: 214-216)؛ كرامر، 1996م: 86-90).

ولم تقتصر المنافسة على عامة السكان، وإنما امتدت إلى النخب العلمية والدينية، إذ ارتبطت مكانة العالم بقدرته على تمثيل جماعته والتأثير في المجال العام، ولذلك أصبحت الشخصيات العلمية ذات حضور يتجاوز حدود وظيفتها التعليمية، وتحولت مكانتها إلى جزء من المكانة الاجتماعية للجماعة التي تنتمي إليها، وفي هذا الإطار يمكن فهم الاعتداء على مسجد ابن المعلم وما تعرض له

الشيخ المفيد من أذى، إذ يعكس الحدث صراعاً لم يكن متعلقاً بشخص العالم وحده، وإنما اتصل بالمرجعية العلمية والنفوذ الاجتماعي والتأثير في الرأي العام داخل بغداد، بما يؤكد أن المؤسسات والشخصيات العلمية كانت جزءاً من بنية التنافس الاجتماعي والمذهبي في المدينة (فقيهي، 1987م: 444).

ومن ثم فإن دور المؤسسات الدينية والعلمية في بغداد البويهية لا يمكن اختزاله في أداء الشعائر أو تدريس العلوم الدينية، لأنها كانت مؤسسات منتجة للعلاقات الاجتماعية وشبكات التواصل ومراكز للحياة الحضرية، فقد جمعت بين التعليم والعبادة والوعظ والمناظرة والفتوى، وأتاحت من خلال ذلك فرصاً متكررة للاتصال بين فئات المجتمع، كما ساعد ارتباطها بالأحياء والأسواق على انتقال تأثيرها من داخل المؤسسة إلى المجال الحضري الأوسع، وبذلك أسهمت هذه المؤسسات في تكوين شبكات تقوم على العلم والمذهب والمكانة الاجتماعية، وفي الوقت نفسه ساعدت على استمرار النشاط الاجتماعي والثقافي داخل المدينة (كرامر، 1996م: 86-90؛ Lapidus, 2014: 214-216).

وعليه أدت المؤسسات الدينية والعلمية والفضاءات الحضرية في بغداد خلال العصر البويهي وظيفتين متداخلتين، فمن جهة، أسهمت في بناء شبكات التواصل الاجتماعي، ونقل المعرفة، وتنشيط الحياة العلمية والثقافية، وربط العلماء بالطلاب والعامّة وبقية الفئات الاجتماعية، ومن جهة أخرى، ساعدت على ترسيخ المرجعيات المذهبية وإعادة إنتاج الهويات الجمعية، كما أن الأسواق والأحياء وفرت مجالات للتفاعل العملي بين الجماعات، مما جعل الحياة الحضرية تستوعب في الوقت نفسه مظاهر التنافس ومظاهر التعاون، ومن هنا، فإن التعدد المذهبي لم يكن عاملاً للصراع وحده، وإنما كان أيضاً جزءاً من الدينامية الاجتماعية التي أسهمت المؤسسات الدينية والعلمية والاقتصادية في إنتاجها واستمرارها (الخطيب البغدادي، 2001م: 175/1-180؛ ابن الجوزي، 1990م: 14/75؛ Lapidus, 2014: 214-216).

وبذلك يتضح أن المؤسسات الدينية والعلمية كانت من أهم الآليات التي تشكلت من خلالها العلاقات الاجتماعية في بغداد البويهية، فقد أسهمت في تكوين شبكات العلم والتواصل، وربطت الأفراد بالجماعات، ومنحت الأحياء والمؤسسات دلالات مذهبية واجتماعية، كما أدت دوراً في تنشيط الحياة الحضرية من خلال التدريس والمناظرة والوعظ والقضاء والفتوى والاجتماع العام، وفي الوقت ذاته، جعلها ارتباطها بالهويات المذهبية جزءاً من المنافسة على المكانة والنفوذ داخل المدينة، ومن ثم، فإن الحياة الاجتماعية في بغداد خلال العصر البويهي تشكلت من خلال تفاعل مستمر بين المؤسسات الدينية والعلمية، والفضاء المكاني، والمصالح الاقتصادية، والانتماءات المذهبية، وهو تفاعل أنتج مجتمعاً حضرياً جمع بين شبكات التواصل والتعايش من جهة، والتنافس وإعادة ترسيم الحدود الاجتماعية من جهة أخرى (كرامر، 1996م: 86-90؛ الخطيب البغدادي، 2001م: 175/1-180؛ ابن الجوزي، 1990م: 14/75؛ فقيهي، 1987م: 444؛ Lapidus, 2014: 214-216).

ب) التيارات المذهبية وإدارة العلاقات الاجتماعية

أتاح المناخ الديني المنفتح نسبياً في بغداد خلال العصر البويهي، إلى جانب اتساع نشاط التيارات المذهبية المعروفة، المجال لظهور جماعات وشخصيات سعت، من خلال توظيف الرصيد الديني للمجتمع، إلى اكتساب النفوذ الاجتماعي والسياسي. ويكشف هذا الواقع أن الدين في بغداد لم يكن مجرد منظومة من المعتقدات، بل غدا أحد أهم مصادر إنتاج الشرعية الاجتماعية وتنظيم علاقات القوة. ومن ثم، فإن نفوذ كل تيار مذهبي لم يكن مرتبطاً بأسسه العقيدية فحسب، وإنما كان يعتمد كذلك على قدرته على تعبئة الأتباع، وبناء الشبكات الاجتماعية، واستقطاب دعم النخب. وفي هذا السياق، فإن ظهور مدّعين انتسبوا إلى أهل البيت (ع)، أو طرحوا أفكاراً مهدوية، أو بلغ الأمر ببعضهم إلى ادعاء الألوهية، يعكس ما كانت تتمتع به المعتقدات الدينية من قدرة كبيرة على التعبئة الاجتماعية وتوجيه الفعل الجماعي. وتفيد رواية ابن الأثير عن ابن أبي العزاق وغيره من هؤلاء المدّعين بأن نفوذ هذه

الحركات لم يقتصر على الطبقات الدنيا، بل حظيت أيضاً بدعم بعض أصحاب النفوذ (ابن الأثير، 1995م: 495/8، 559). ويؤكد ذلك أن الرأسمال الديني في المجتمع البغدادي أصبح قابلاً للتحويل إلى رأسمال اجتماعي، بل وسياسي أيضاً، الأمر الذي جعل المنافسة على المرجعية الدينية تمتد إلى التنافس على النفوذ داخل البنية الاجتماعية ومراكز القوة. وقد وضعت هذه الظاهرة الدولة البويهية أمام تحدٍ مزدوج، عقائدي واجتماعي في آن واحد. ومن النماذج الواضحة لهذا النهج، موقف السلطة من ابن أبي العزاق، لا من الحلاج أو غيره من أصحاب الدعاوى المشابهة. فقد تمكن ابن أبي العزاق، من خلال طرح ادعاءاتٍ غالبية ونسبة نفسه إلى مقاماتٍ دينية رفيعة، من استقطاب جماعةٍ من الأتباع، بل وحظي بتأييد بعض ذوي النفوذ. ولما اتسع نطاق تأثيره الاجتماعي، سارعت السلطة إلى مواجهته خشية أن يتحوّل تياره إلى مركزٍ مستقل عن السلطتين السياسية والدينية. ويكشف هذا الإجراء أنّ حساسية السلطة لم تكن موجّهة، في المقام الأول، إلى الجوانب العقدية فحسب، بقدر ما كانت منصّبةً على التداعيات الاجتماعية والسياسية الناجمة عن تشكّل شبكاتٍ مستقلة للنفوذ والسلطة (ابن الأثير، 1995م: 495/8، 559؛ ابن الجوزي، 1990م: 280/1-282). فمن جهة، أتاحت سياسة التسامح الديني قدراً من الحرية لمختلف الجماعات في ممارسة نشاطها، ومن جهة أخرى، فرض الحفاظ على النظام العام والاستقرار السياسي على السلطة الحيلولة دون نشوء تيارات يمكن أن تتحوّل إلى مراكز مستقلة للتعبيد الاجتماعية. ولذلك، فإن موقف الدولة من هؤلاء المدعين لا يمكن تفسيره بوصفه مجرد رد فعل على انحرافات عقدية، بل إن هذه الإجراءات كانت تستهدف، قبل كل شيء، الحد من آثارهم الاجتماعية، ومنع ظهور مراكز منافسة للسلطة، وصيانة تماسك المجتمع الحضري. ويظهر المنطق الإداري نفسه في تعامل البويهيين مع الصراعات المذهبية. فعلى الرغم من انتمائهم الواضح إلى المذهب الشيعي، فإنهم سعوا في كثير من الأحيان إلى الحد من تصاعد أعمال العنف المذهبي ومنع تحول المنافسات الطائفية إلى أزمات حضرية شاملة. ومع أن هذه السياسة لم تستطع دائماً الحيلولة دون وقوع المواجهات، بل شهدت بعض المراحل تصاعداً في أعمال العنف، فإن تدخل السلطة لاحتواء تلك الأزمات يكشف أن استمرار الحياة الاجتماعية في بغداد كان مرهوناً، قبل كل شيء، بالحفاظ على التوازن بين الجماعات المذهبية ومنع الإخلال بالنظام العام. وفي ضوء ذلك، فإن إدارة المنافسات المذهبية لم تكن مجرد وسيلة لدعم مذهب بعينه، وإنما كانت جزءاً من آليات إدارة مجتمع متعدّد الانتماءات، يعتمد فيه الاستقرار السياسي واستمرار العلاقات الاجتماعية على مدى نجاح السلطة في احتواء المنافسات المذهبية وضبطها (مسكويه، 2000م: 180/2-190؛ ابن الأثير، 1995م: 35/8-42).

ج) انعكاس التعدد المذهبي في تشكّل الهويات الاجتماعية والمحلية

لم يقتصر أثر التعدد المذهبي في بغداد خلال العصر البويهي على مجرد اجتماع جماعات مذهبية متعددة داخل مدينة إسلامية كبرى، وإنما امتد إلى تشكيل أنماط جديدة من الهوية الاجتماعية والعلاقات بين سكان المدينة، فقد أسهم التنافس على المرجعية الدينية والنفوذ الاجتماعي والمكانة السياسية في جعل الانتماء المذهبي عنصراً مؤثراً في تحديد موقع الفرد داخل جماعته وفي علاقاته بالآخرين، وبذلك تجاوز المذهب حدود الاعتقاد الديني الفردي، وأصبح إطاراً اجتماعياً تتحدد من خلاله صور الانتماء والتمايز والتضامن، وهو ما جعل الهوية المذهبية أحد المكونات الأساسية للهوية الاجتماعية في بغداد خلال هذه المرحلة (الخطيب البغدادي، 2001م: 175/1-180؛ ابن الجوزي، 1990م: 90/15-95)، وتكشف طبيعة المجتمع البغدادي في العصر البويهي أن تشكّل الهوية الاجتماعية لم يكن منفصلاً عن السياق التاريخي الذي عاشته المدينة، بل ارتبط بطبيعة العلاقات بين الجماعات المذهبية ومواقعها داخل المجتمع الحضري. فقد أصبح الانتماء المذهبي وسيلة للتعريف بالذات الجماعية، وفي الوقت نفسه أداة لرسم حدود اجتماعية ورمزية تميز الجماعة عن غيرها. ومن ثم، لم تعد الهوية المذهبية مجرد تعبير عن معتقدات الأفراد، وإنما أصبحت رابطة اجتماعية تسهم في تنظيم العلاقات داخل الجماعة وخارجها، وفي تعزيز الشعور بالانتماء المشترك (الخطيب البغدادي، 2001م: 175/1-180؛ Lapidus, 2014: 214-216).

وكان للمكان دور بارز في ترسيخ هذه الهوية؛ إذ لم تكن أحياء بغداد مجرد وحدات سكنية، بل ارتبط بعضها بجماعات مذهبية معينة، وأصبحت فضاءات لممارسة الأنشطة الدينية والعلمية والاجتماعية، وأدى هذا التركيز النسبي إلى تداخل الانتماء المذهبي مع الانتماء المكاني، فأصبح الحي عنصراً من عناصر تكوين الهوية، إلى جانب وظيفته السكنية، وبذلك أسهمت علاقات الجوار والممارسات الدينية والتفاعلات اليومية في تعزيز الروابط الداخلية للجماعة وإعادة إنتاج هويتها داخل المجال الحضري (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ ابن الجوزي، 1990م: 95-90/15)، ويُعد حي الكرخ نموذجاً واضحاً للتداخل بين الهوية المذهبية والهوية المكانية؛ فقد أدى وجود علماء الإمامية، وإقامة الشعائر الدينية، وتكوين شبكات التواصل الداخلية إلى جعله أحد أبرز مراكز الحضور الاجتماعي والثقافي للشيعا في بغداد. وبذلك لم يعد الكرخ مجرد موضع للإقامة، وإنما ارتبط بصورة الجماعة التي استقرت فيه ومارست داخله جانباً من نشاطها الديني والاجتماعي، وقد أسهم هذا الارتباط بين الجماعة والمكان في تعزيز الشعور بالانتماء، بحيث أصبحت هوية الحي متداخلة مع الهوية المذهبية لسكانه (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ ابن الجوزي، 1990م: 95-90/15)، ولا يعني ذلك أن بغداد كانت مقسمة إلى أحياء مغلقة بصورة كاملة على أساس مذهبي؛ فالأدق أن التنظيم المكاني للمدينة أوجد فضاءات ذات دلالات اجتماعية ومذهبية متفاوتة، فقد ارتبطت أماكن السكن بالمؤسسات الدينية والعلمية، كما ارتبطت المساجد والمدارس وحلقات العلم بشبكات اجتماعية أسهمت في المحافظة على خصوصية كل جماعة، كما، أسهم وجود أحياء ذات حضور سني ومؤسساتها الدينية والعلمية في تكوين فضاءات اجتماعية موازية، وهو ما يكشف أن بغداد كانت تضم مجموعة من المجالات الاجتماعية الفرعية التي تداخلت داخل المدينة الواحدة. (Lapidus, 2014: 214-216)

ومن ثم لم يكن المكان مجرد إطار محايد للعلاقات الاجتماعية، بل أسهم في إعادة إنتاج الهوية الجماعية. فارتباط الجماعة بمكان معين، واستمرار ممارساتها الدينية والاجتماعية فيه، أدى إلى إكساب المكان دلالة تتجاوز الجانب الجغرافي، ليصبح حاملاً لجزء من الذاكرة الجمعية للجماعة، وفي هذا الإطار أسهمت الأحياء والمؤسسات المرتبطة بالجماعات المذهبية في المحافظة على استمرارية أنماط الانتماء، وفي نقلها من جيل إلى آخر، مما جعل الهوية المذهبية ذات حضور واضح في الحياة الحضرية لبغداد (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ ابن الجوزي، 1990م: 95-90/15)، كما ارتبط تشكل الهوية الاجتماعية بالشبكات التي نشأت بين أفراد الجماعة الواحدة، ولا سيما شبكات العلماء وطلاب العلم والجيران وأصحاب الأنشطة المختلفة، فقد أسهمت هذه الشبكات في تداول المعارف والقيم والممارسات، وعملت على تقوية الروابط الداخلية للجماعة، ولم يكن هذا الانتماء قائماً على التشابه العقدي وحده، وإنما تدعم من خلال العلاقات اليومية والمصالح المشتركة والتفاعل الاجتماعي، بحيث أصبح الفرد جزءاً من شبكة جماعية أوسع تحدد بعض ملامح موقعه الاجتماعي وانتمائه (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ Lapidus, 2014: 214-216).

مع ذلك لم يؤد التمايز المذهبي والمكاني إلى عزل الجماعات عن بعضها عزلاً تاماً؛ إذ فرضت الحياة الحضرية في بغداد صوراً متعددة من التفاعل بين السكان. فقد جمعت الأسواق والأنشطة الاقتصادية والمهنية أفراداً ينتمون إلى جماعات مذهبية مختلفة، كما فرضت المصالح اليومية قدرًا من التعامل والتواصل يتجاوز الحدود المذهبية، ومن ثم ظلت الهوية المذهبية تعمل داخل مجتمع حضري أكثر اتساعاً، بحيث تزامن التمايز الداخلي للجماعات مع وجود علاقات مشتركة تربط بينها. (Lapidus, 2014: 216)، ويكشف ذلك عن الطبيعة المزدوجة للهوية الاجتماعية في بغداد البويهية؛ فمن ناحية، أسهم الانتماء المذهبي والمكاني في تعزيز التماسك الداخلي للجماعة وإبراز خصوصيتها، ومن ناحية أخرى، حالت العلاقات اليومية والمصالح الاقتصادية والاجتماعية دون تحول هذا التمايز إلى قطيعة شاملة، وبذلك كانت الحدود بين الجماعات المذهبية قابلة للتداخل بحسب طبيعة الموقف والسياق الاجتماعي، ولم تكن حدوداً ثابتة تمنع جميع أشكال التفاعل (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ Lapidus, 2014: 216)، وعليه يمكن فهم الهوية الاجتماعية في بغداد العصر البويهي بوصفها هوية مركبة تشكلت تاريخياً من خلال تفاعل ثلاثة أبعاد أساسية: الانتماء المذهبي، والانتماء المكاني، والعلاقات الاجتماعية، فقد وفر المذهب أساساً للتمايز العقدي والاجتماعي، وأسهم

المكان في تجسيد هذا الانتماء داخل المجال الحضري، بينما قامت العلاقات الاجتماعية بتحويله إلى ممارسات وروابط يومية، ومن ثم أصبح الحي والمؤسسة الدينية والعلمية وشبكات الجوار والعلاقات الاجتماعية عناصر متداخلة في بناء هوية الفرد والجماعة (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ ابن الجوزي، 1990م: 95-90/15؛ Lapidus, 2014: 214-216)، وبناءً على ذلك فإن أهمية التعدد المذهبي في بغداد البويعية لا تتمثل في مجرد تعدد الجماعات المذهبية، وإنما في أثر هذا التعدد في الطريقة التي عرّف بها سكان المدينة ذواتهم وحددوا مواقعهم الاجتماعية وعلاقاتهم بالآخرين، فقد أسهم الانتماء المذهبي في تشكيل تصور الجماعة عن ذاتها وعن الجماعات الأخرى، بينما ساعد الانتماء المكاني على تثبيت بعض مظاهر هذه الهوية داخل الفضاء الحضري، وأسهمت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في إعادة تشكيل الحدود بين الجماعات بصورة مستمرة (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ ابن الجوزي، 1990م: 95-90/15؛ Lapidus, 2014: 214-216)، ومن ثم تجاوز المذهب في بغداد خلال العصر البويعي وظيفته بوصفه منظومة عقدية ليصبح أحد المكونات الرئيسة للهوية الاجتماعية، دون أن يلغي بقية عناصر الانتماء. فقد تداخل الانتماء المذهبي مع الانتماء المكاني والاجتماعي في تشكيل هوية الفرد والجماعة، وأصبح المكان مجالاً لتجسيد الهوية، بينما أسهمت الشبكات الاجتماعية والممارسات اليومية في ترسيخها، وبذلك كانت الهوية الاجتماعية في بغداد البويعية ظاهرة تاريخية متحركة، تشكلت عند نقطة التقاء المذهب بالمكان والعلاقات الاجتماعية، وأعيد إنتاجها باستمرار وفق طبيعة التفاعل بين الجماعات داخل المدينة (الخطيب البغدادي، 2001م: 180-175/1؛ ابن الجوزي، 1990م: 95-90/15؛ Lapidus, 2014: 214-216).

د) تشكّل الشبكات العلمية والعلاقات بين الجماعات

أدى التعدّد المذهبي في بغداد خلال العصر البويعي إلى إحداث تحوّل في ميدان العلم والتعليم، وجعل المؤسسات العلمية إحدى أهم ساحات التنافس والتفاعل بين التيارات المذهبية. فعلى الرغم من أنّ الاختلافات العقدية حافظت على الحدود الهوياتية بين المذاهب، فإنها دفعت في الوقت نفسه كلّ تيار إلى تعزيز حضوره في المجال العلمي؛ إذ إنّ ترسيخ المرجعية الدينية والاجتماعية لم يكن ممكناً من دون إنتاج المعرفة، وتربية التلاميذ، والمشاركة في النقاشات العلمية. ومن ثمّ، لم يؤدّ التنافس المذهبي إلى العزلة العلمية، بل أسهم في توسيع النشاط التعليمي وإضفاء الحيوية على البيئة المعرفية في بغداد. وفي ظلّ هذه التحوّلات، غدت المساجد، وحلقات الدرس، ومجالس الحديث، والمكتبات، والمحافل العلمية، مؤسسات تؤدي وظائف تتجاوز التعليم؛ إذ أسهمت في تكوين شبكات اتصال راسخة بين العلماء وطلاب العلم. وقد أتاح الارتباط بين الأستاذ والتلميذ، وتبادل الآراء، واستمرار حضور العلماء في هذه المراكز، انتقال المعرفة ضمن شبكات منظّمة، ورسيخ المرجعية العلمية لكل مذهب داخل المجتمع الحضري. وبذلك لم تعد المؤسسات العلمية مراكز للتعليم فحسب، بل أصبحت عنصراً مؤثراً في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الجماعات المذهبية. ويمثل التطور التدريجي للشبكة العلمية الإمامية نموذجاً واضحاً لهذه العملية؛ إذ لم تقتصر أنشطة شخصيات مثل الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي على تأليف المؤلفات أو عقد حلقات التدريس، بل أسهمت في بناء شبكة من العلاقات العلمية والفكرية عززت المكانة الاجتماعية للإمامية في بغداد. وفي المقابل، حافظ علماء أهل السنة على مرجعيتهم العلمية من خلال استمرار حلقات الحديث، والمؤسسات التعليمية، والأنشطة الفقهية. ومن ثمّ، أصبحت الساحة العلمية في بغداد مجالاً يسعى فيه كل تيار مذهبي إلى إعادة إنتاج مكانته الاجتماعية عبر تطوير مؤسساته التعليمية وإعداد كوادره العلمية (النجاشي، 1416ق: 399-405؛ الطوسي، 1417ق: 187-195). وانعكس التنافس على المرجعية الدينية تدريجياً في ميدان إنتاج المعرفة؛ إذ دفعت حاجة كل تيار إلى الدفاع عن أصوله العقدية إلى ازدهار التأليف في علمي الكلام والفقه، وتوسيع حلقات التدريس، وتخريج التلاميذ، الأمر الذي جعل الخلافات المذهبية عاملاً محفزاً للنشاط العلمي. وإلى جانب ذلك، أسهمت الحركة الواسعة للكتب والمؤلفات في تعزيز التواصل بين المحافل العلمية المختلفة. فقد جعلت المكتبات الكبرى، ودكاكين الورّاقين، وكثرة النسخ، من بغداد أحد أهم مراكز تداول المعرفة في

العالم الإسلامي، وهيأت للعلماء فرصة الاطلاع على آراء المذاهب المختلفة. ويعكس ما أورده ابن النديم في كتاب **الفهرست** هذه الحيوية الثقافية واتساع نطاق تداول المؤلفات العلمية في بغداد (ابن النديم، 1348ق: 1-10). وكان استمرار هذه الحيوية العلمية مرتبطاً، إلى حدٍ كبير، بالسياسة التي انتهجها البويهيون في إدارة مجتمعٍ متعدّد المذاهب. فعلى الرغم من الميل الواضح للحكومة إلى التشجيع، فإن استمرار نشاط المؤسسات العلمية السنية إلى جانب توسّع المؤسسات العلمية الشيعية يدل على أنّ التنافس العلمي لم يكن قائماً على إقصاء التيارات المنافسة، بل استمر في إطار من التعددية الثقافية. وقد أتاح هذا الواقع، فضلاً عن الحفاظ على ازدهار الحركة العلمية في بغداد، فرصاً للتفاعل والتأثير المتبادل بين الأوساط العلمية التابعة للمذاهب المختلفة (متز، 1986م، 2: 540-545 Kennedy, 2004: 256-260).

و) انعكاسات التعدّد المذهبي في التفاعلات الفكرية والاجتماعية

1- إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية في ظلّ التعدّد المذهبي

تكشف دراسة الآثار الاجتماعية للتعدّد المذهبي في بغداد خلال العصر البويهي أنّ هذه الظاهرة لم تقتصر على التعايش المتزامن لمذاهب مختلفة، بل تركت أثراً عميقاً في تنظيم العلاقات الاجتماعية داخل المدينة. فقد أدّى استقرار البويهيين ذوي التوجّه الشيعي، إلى جانب استمرار الخلافة العباسية والحضور الفاعل للتيارات المذهبية المختلفة، إلى قيام بنية اجتماعية استندت إلى نوع من التوازن بين القوى المذهبية ومتطلبات إدارة المدينة. وفي هذا الإطار، لم تقم العلاقات الاجتماعية على هيمنة جماعة أو إقصاء أخرى، بل تشكّلت في ظلّ تفاعل وتنافس مستمر بين الجماعات المذهبية، الأمر الذي جعل الحفاظ على الاستقرار السياسي مرتبطاً بحسن إدارة هذا التوازن (مسكويه، 2000 م: 180/2-190؛ ابن الأثير، 1995 م: 35/8-42). وفي ظلّ هذه البنية الاجتماعية، أسهمت الهويات المذهبية في تعزيز التماسك الداخلي والتنظيم الاجتماعي لكل جماعة، غير أنّ هذه الحدود الهوياتية لم تؤدّ إلى عزلة كاملة بين المجموعات المختلفة. فقد أوجد استمرار نشاط الأسواق، والجهاز الإداري، والشبكات المهنية، والتبادلات الاقتصادية، أنماطاً من الاعتماد المتبادل ربطت أتباع المذاهب المختلفة في مختلف مجالات الحياة الحضرية. ومن ثمّ، فإن استقرار العلاقات الاجتماعية في بغداد لم يكن قائماً على التجانس العقدي، بقدر ما استند إلى الضرورات الاقتصادية والإدارية والاجتماعية التي ضمنت استمرار الحياة المدنية حتى في فترات احتدام التنافس المذهبي (متز، 1986 م: 415-405/1؛ Lapidus, 2014: 220-225).

2- التعايش التنافسي: حصيلة التفاعل والصراع في المجتمع البغدادي

وعلى الرغم من اتساع شبكات التفاعل الاجتماعي، ظلّ التنافس المذهبي أحد العناصر الثابتة في العلاقات الاجتماعية ببغداد. فكلما تزامنت الخلافات العقدية مع التنافس السياسي، أو النزاعات بين الأحياء، أو تراجع سلطة الدولة، اكتسبت الهويات المذهبية قدرةً على تعبئة الجماعات وتحويلها إلى أدوات للصراع الاجتماعي. وتشير الروايات التاريخية المتعلقة بالمواجهات بين الشيعة وأهل السنة خلال المناسبات الدينية إلى أنّ الحدود العقدية كانت تتحول، في أوقات الأزمات، إلى حدود اجتماعية وأمنية تؤثر بصورة مباشرة في النظام الحضري للمدينة (ابن الجوزي، 1990 م، 120/15-130؛ ابن الأثير، 1995 م: 100/9-105). ومع ذلك، فإن استمرار نشاط المؤسسات العلمية والاقتصادية والإدارية يدلّ على أنّ المجتمع البغدادي كان يمتلك آليات فعّالة لاحتواء هذه التوترات واستيعابها. فقد أسهمت حركة تداول المعرفة، واستمرار عمل الشبكات العلمية، وحيوية الأسواق، وانتظام الجهاز الإداري، في الحفاظ على التماسك الاجتماعي حتى في المراحل التي اشتدت فيها المنافسات المذهبية. وعلى هذا الأساس، يمكن القول إنّ التعدّد المذهبي أفضى في المجتمع البغدادي إلى مسارين متوازيين؛ فمن جهة، أعاد إنتاج الحدود الهوياتية وهيئاً بيئةً للمنافسة والتباعد، ومن جهة أخرى، أتاح - في ضوء المصالح الاقتصادية والعلمية والإدارية المشتركة - استمرار التعاون والتفاعل بين الجماعات المذهبية

المختلفة. ولذلك يمكن تفسير العلاقات الاجتماعية في بغداد خلال العصر البويهي في إطار نموذج «التعايش التنافسي»، الذي لا يُنظر فيه إلى التنافس المذهبي والتعاون الاجتماعي بوصفهما ظاهرتين متناقضتين، بل باعتبارهما عنصرين متكاملين أسهما معاً في تشكيل البنية الاجتماعية للمجتمع الحضري.

الخاتمة

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء أثر التعدد المذهبي في العلاقات الاجتماعية بمدينة بغداد خلال العصر البويهي (334-447هـ/945-1055م)، بالاعتماد على منهج التاريخ الاجتماعي لفهم طبيعة المجتمع البغدادي وآليات تشكله، وأظهرت الدراسة أن التنوع المذهبي كان أحد المرتكزات الرئيسية في بناء المجتمع الحضري، إذ تجاوز نطاق الاختلاف العقدي ليؤثر في تشكيل الهويات الاجتماعية، وتنظيم الأحياء، وبناء المؤسسات الدينية والعلمية، وصياغة أنماط التفاعل بين مختلف الجماعات. كما كشفت الدراسة أن المجتمع البغدادي جمع بين مظاهر المنافسة والتعاون في آن واحد، إذ حافظت المصالح المشتركة ومتطلبات الحياة اليومية على استمرارية العلاقات الاجتماعية رغم وجود تباينات مذهبية، وهو ما أسهم في استقرار المدينة واستمرار ازدهارها العلمي والحضاري.

الاستنتاجات

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. أظهرت الدراسة أن المجتمع البغدادي في العصر البويهي اتسم بتعدد مذهبي واسع، شمل المذاهب الإسلامية المختلفة، إلى جانب وجود جماعات دينية أخرى، الأمر الذي أوجد مجتمعاً حضرياً متنوعاً في تركيبته الاجتماعية والثقافية، وجعل التعدد المذهبي أحد العناصر المؤثرة في تنظيم الحياة العامة.
2. بينت الدراسة أن الانتماء المذهبي لم يكن مقتصرًا على الجانب الديني، بل تحول إلى عامل مؤثر في تشكيل العلاقات الاجتماعية، إذ انعكس على أنماط السكن داخل الأحياء، وتكوين الروابط الاجتماعية، وتحديد دوائر الانتماء، وبناء المكانة الاجتماعية والعلمية داخل المجتمع البغدادي.
3. كشفت الدراسة عن الدور المحوري الذي أدته المؤسسات الدينية والعلمية، وفي مقدمتها المساجد، والمدارس، ومجالس العلماء، في ترسيخ الهوية المذهبية، وإعداد العلماء والفقهاء، ونشر المعرفة، فضلاً عن كونها فضاءات للحوار والمناظرة والتواصل بين أتباع المذاهب المختلفة.
4. أوضحت الدراسة أن سياسة البويهيين تجاه المذاهب لم تقم على الإقصاء الكامل، وإنما اتسمت بقدر من المرونة في إدارة التنوع المذهبي، وهو ما أسهم في استمرار نشاط المؤسسات الدينية والعلمية، والحفاظ على قدر من الاستقرار الاجتماعي رغم التنافس المذهبي.
5. أظهرت الدراسة أن المنافسة بين المذاهب الإسلامية لم تقتصر على الجوانب العقدية، وإنما امتدت إلى مجالات التعليم، والفتوى، والقضاء، والوقف، والزعامات الدينية، الأمر الذي أسهم في تنشيط الحركة العلمية وزيادة الإنتاج الفكري وازدهار المناظرات العلمية.
6. كشفت الدراسة أن العلاقات الاقتصادية والإدارية والاجتماعية بين سكان بغداد أسهمت في الحد من آثار الخلافات المذهبية، إذ فرضت متطلبات الحياة اليومية أشكلاً من التعاون والتفاعل بين مختلف الجماعات، وهو ما حافظ على تماسك المجتمع الحضري واستمرار وظائفه الاقتصادية والإدارية.

7. أثبتت الدراسة أن مظاهر الصراع المذهبي، على الرغم من تكرارها في بعض الفترات، لم تكن السمة الغالبة على المجتمع البغدادي، بل تعايشت مع صور متعددة من التعاون والتواصل والتبادل العلمي والاجتماعي، الأمر الذي يعكس طبيعة المجتمع المركبة.
8. توصلت الدراسة إلى أن فهم المجتمع البغدادي في العصر البويهي لا يمكن أن يقتصر على دراسة الصراعات السياسية أو المذهبية، بل يتطلب تحليلاً للبنية الاجتماعية والعلاقات التي ربطت بين مختلف الجماعات، وهو ما يقدمه منهج التاريخ الاجتماعي بصورة أكثر شمولاً.
9. تؤكد الدراسة أن التعدد المذهبي كان عاملاً أساسياً في إعادة تشكيل المجتمع البغدادي، إذ أسهم في تكوين شبكات اجتماعية وعلمية جديدة، وإعادة توزيع مراكز النفوذ الديني والاجتماعي، مع المحافظة في الوقت نفسه على استمرارية الحياة الحضارية ومؤسساتها.

التوصيات

استناداً إلى الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، توصي بما يأتي:

1. توجيه المزيد من الدراسات نحو تحليل التاريخ الاجتماعي لمدينة بغداد في العصور الإسلامية المختلفة، وعدم الاقتصار على دراسة الأحداث السياسية والعسكرية.
2. إجراء دراسات متخصصة تتناول أثر التعدد المذهبي في البناء الاجتماعي للمدن الإسلامية الأخرى، وإجراء مقارنات علمية بينها وبين تجربة بغداد في العصر البويهي.
3. الاهتمام بدراسة المؤسسات الدينية والعلمية بوصفها مؤسسات اجتماعية أسهمت في تشكيل العلاقات بين الجماعات المختلفة، وليس باعتبارها مؤسسات تعليمية أو دينية فحسب.
4. تشجيع الباحثين على توظيف منهج التاريخ الاجتماعي في دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية، لما يوفره من قدرة على تفسير الظواهر الاجتماعية وتحليلها في إطارها التاريخي.
5. تخصيص دراسات مستقلة لبحث العلاقة بين التنافس المذهبي والحركة العلمية، وبيان أثرها في تطور العلوم الإسلامية وازدهار الإنتاج الفكري خلال العصر الوسيط.
6. توسيع نطاق الدراسات المتعلقة بالأوقاف، والمؤسسات التعليمية، وشبكات العلماء، لما لها من دور رئيس في فهم طبيعة المجتمع البغدادي وآليات تشكله.
7. تعزيز الدراسات المقارنة التي تتناول سياسات الدول الإسلامية في إدارة التنوع المذهبي، بما يساهم في فهم أثر السياسات الرسمية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي.
8. تشجيع تحقيق ونشر المصادر التاريخية غير المطبوعة المتعلقة بالعصر البويهي، لما تتضمنه من معلومات يمكن أن تثري الدراسات الاجتماعية والحضارية الخاصة بمدينة بغداد.

المصادر

- ابن الأثير، عز الدين، (1995 م)، الكامل في التاريخ، طهران، أساطير.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (1990)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن حوقل، محمد بن علي، (1983م)، **صورة الأرض**، بيروت، دار صادر.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1407ق)، **البداية والنهاية**، بيروت، دار الفكر.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق، (1348ق)، **الفهرست**، بيروت، دار المعرفة.
- برنجر، رضا، (1999م)، **أشنايي با فرق و مذاهب اسلامي**، قم، دفتر نشر معارف إسلامي.
- حنّ، فيليب، (1987م)، **تاريخ العرب**، طهران، منشورات علمي وفرهنگي.
- حيدر، أسد، (1984م)، **الإمام الصادق (ع) والمذاهب الأربعة**، طهران، شركة سهامی انتشار.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (2001م)، **تاريخ بغداد (مدينة السلام)**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- الذهبي، شمس الدين أحمد بن عثمان، (1994م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- صديقي، غلام حسين، (1993م)، **الحركات الدينية الإيرانية في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، طهران، منشورات پاژنگ.
- طارمي، حسن، (2002م)، **تاريخ الفقه والفقهاء**، طهران، جامعة پیام نور.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (1417ق)، **الفهرست**، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.
- فضائي، يوسف، (2010م)، **دائرة معارف المذاهب الإسلامية والأديان الإيرانية**، طهران، پويان فرهنگار.
- فقيهي، علي أصغر، (1987م)، **آل بويه وأوضاع عصرهم مع عرض لحياة الناس في ذلك العصر**، طهران، منشورات صبا.
- كبير، مفيز الله، (2002م)، **آل بويه في بغداد**، طهران، منشورات رفعت.
- كرومر، جونل ل.، (1996م)، **النهضة الثقافية في عهد آل بويه**، طهران، مركز النشر الجامعي.
- منز، آدم، (1985م)، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، طهران، أمير كبير.
- المسعودي، علي بن الحسين، (1409ق)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، قم، دار الهجرة.
- مسكويه، أبو علي، **تجارب الأمم**، طهران، منشورات سروش.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (1982م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، طهران، شركة المؤلفين والمترجمين.
- مكي، محمد كاظم، (1410ق)، **الحضارة الإسلامية في العصر العباسي**، طهران، سمت.
- الهمداني، محمد بن عبد الملك، (1958م)، **تكملة تاريخ الطبري**، بيروت، كنعان.
- هولت، ب. م.، ولمبتون، آن ك. س.، (2011م)، **تاريخ الإسلام (كمبريج)**، طهران، أمير كبير.

- النجاشي، أحمد بن علي، (1416ق)، رجال النجاشي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
- اليعقوبي، أحمد بن واضح، (1977م)، البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية.

المقالات والرسائل الجامعية

- الزهيري، مناضل عبيد (2023). الحياة الاجتماعية والمعيشية للمجتمع العراقي خلال العصر العباسي المتأخر (447 - 656هـ / 1055 - 1258م). لارك، 16(1)، 202-216. <https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss52.3347>
- باستاني راد، حسن، (2012م)، «المحلة في المدن الإسلامية خلال القرون الأولى»، بحوث التاريخ الإيراني والإسلامي، العدد 10.
- أحمددي، محمد قاسم، (2009م)، كرخ بغداد: قواعد التشيع في القرنين الرابع والخامس الهجريين، تاريخ الإسلام في مرآة البحوث، طهران، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة طهران.
- يوسف فر، شهرام، (2003م)، البنية الاقتصادية الحضرية في إيران في العصر السلجوقي، الأستاذ المشرف: إلهيار خلعتبري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، طهران، جامعة الشهيد بهشتي.

المصادر الأجنبية.

- -Busse, H,(1969), Chaliphund.Grossking, Die Buyiden in Iraq (945-1055), Beirut.
- -Lapidus, Ira. M,(2014), A History of Islamic Societies, cambrige: Cumbrige University, Press.
- -Kennedy, Hugh, (2004), The prophet and the Age of the caliphates: The Islamic Near East from the Sixth to the Eleventh century, Harlow, Pearson Education Limited.

Sources

- Ahmadi, Mohammad Qasim, (2009), Karkh of Baghdad: The Foundations of Shi'ism in the Fourth and Fifth Centuries AH, History of Islam in the Mirror of Research, Tehran, Faculty of Theology and Islamic Studies, University of Tehran.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Ahmad ibn Uthman, (1994 CE), *Tarikh al-Islam wa-Wafayat al-Mashahir wa-al-A'lam* (History of Islam and Deaths of Famous Figures and Notables)), Beirut, Mu'assasat al-Risalah.
- Al-Hamdani, Muhammad ibn Abd al-Malik, (1958 CE), Supplement to al-Tabari's History, Beirut, Kanaan.
- Al-Mas'udi, Ali ibn al-Husayn, (1409 AH), Meadows of Gold and Mines of Gems, Qom: Dar al-Hijrah.
- Al-Muqaddasi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad, (1982), The Best Divisions for Knowledge of the Regions, Tehran: Authors and Translators Company.

- Al-Najashi, Ahmad ibn Ali, (1416 AH), Rijal al-Najashi, Qom, Islamic Publishing Institute affiliated with the Society of Teachers in Qom.
- Al-Tusi, Abu Ja'far Muhammad ibn al-Hasan, (1417 AH), **Al-Fihrist** (The Index), Qom, Mu'assasat al-Nashr al-Islami.
- Al-Yaqubi, Ahmad ibn Wadih, (1977 CE), Al-Buldan, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- **Al-Zuhairi, Munadhil Ubayd. (2023). Social and Living Conditions of Iraqi Society during the Late Abbasid Period (447–656 AH / 1055–1258 CE). Lark Journal for Philosophy, Linguistics and Social Sciences, 16(1), 202–216.**
<https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss52.3347>
- Baranjkar, Reza, (1999 CE), Ashna'i ba Firaq wa Madhahib al-Islami (Introduction to Islamic Sects and Schools of Thought), Qom, Daftar Nashr Ma'arif Islami.
- Bastani Rad, Hassan, (2012), “The Neighborhood in Islamic Cities During the Early Centuries,” Research in Iranian and Islamic History, No. 10.
- Cromer, Joel L., (1996), The Cultural Renaissance in the Buyid Era, Tehran: University Publishing Center.
- Faza'i, Yusuf, (2010 CE), **Da'irat Ma'arif al-Madhahib al-Islamiyyah wa-al-Adyan al-Iraniyyah** (Encyclopedia of Islamic Schools of Thought and Iranian Religions), Tehran, Pouyan Farhangar.
- Faqihi, Ali Asghar, (1987), The Buyid Dynasty and the Conditions of Their Era, with a Presentation of People's Lives in That Time, Tehran: Saba Publications.
- Haydar, Asad, (1984 CE), Al-Imam al-Sadiq (a.s.) wa al-Madhahib al-Arba'a (Imam al-Sadiq (a.s.) wa al-Madhahib al-Arba'a) (Imam al-Sadiq (a.s.) wa al-Madhahib al-Arba'a), Tehran, Sharikat Sahami Intishar.
- Al-Khatib al-Baghdadi, Ahmad ibn Ali, (2001 CE), **Tarikh Baghdad (Madinat al-Salam)** (History of Baghdad (City of Peace)), Beirut, Dar al-Gharb al-Islami.
- Hitti, Philip, (1987 CE), Tarikh al-Arab (History of the Arabs), Tehran, Manshurat Ilmi wa Farhangi.
- Holt, B. M., and Wilmpton, Anne K. S., (2011 CE), History of Islam (Cambridge), Tehran, Amir Kabir.
- Ibn al-Athir, Izz al-Din, (1995 CE), Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), Tehran, Asatir.
- Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali, (1990 CE), Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam (The Regular in the History of Kings and Nations), Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

- Ibn al-Nadim, Muhammad ibn Ishaq, (1348 AH), *Al-Fihrist (The Index)*, Beirut, Dar al-Ma'rifa.
- Ibn Hawqal, Muhammad ibn Ali, (1983 CE), *Surat al-Ard (The Image of the Earth)*, Beirut, Dar Sader.
- Ibn Kathir, Ismail ibn Umar, (1407 AH), *Al-Bidaya wa al-Nihaya (The Beginning and the End)*, Beirut, Dar al-Fikr.
- Kabir, Mufizollah, (2002), *The Buyid Dynasty in Baghdad*, Tehran: Rifat Publications.
- Makki, Muhammad Kazim, (1410 AH), *Islamic Civilization in the Abbasid Era*, Tehran, Samt.
- Metz, Adam, (1985), *Islamic Civilization in the Fourth Century AH*, Tehran: Amir Kabir.
- Miskawayh, Abu Ali, *Experiences of Nations*, Tehran: Soroush Publications.
- Siddiqi, Ghulam Husayn, (1993 CE), **Al-Harakat al-Diniyah al-Iraniyyah fi al-Qarnayn al-Thalith wa-al-Thalith al-Hijriyyin** (Iranian Religious Movements in the Second and Third Centuries AH), Tehran, Manshurat Pazhang.
- Tarmi, Hasan, (2002 CE), **Tarikh al-Fiqh wa-al-Fuqaha'** (History of Jurisprudence and Jurists)), Tehran, Payam-e Noor University.
- Yousefifar, Shahram, (2003), *The Urban Economic Structure in Iran During the Seljuk Era*, Supervisor: Elhiyar Khalatbari, Faculty of Arts and Humanities, Tehran, Shahid Beheshti University.
- Busse, H,(1969), *Chaliphund.Grossking, Die Buyiden in Iraq (945-1055)*, Beirut.
- Kennedy, Hugh, (2004), *The prophet and the Age of the caliphates: The Islamic Near East from the Sixth to the Eleventh century*, Harlow, Pearson Education Limited.
- Lapidus, Ira. M,(2014), *A History of Islamic Societies*, cambrige: Cumbrige University, Press.